الحاكم بأمر الله

ويعتقد الدروز أن الحاكم، الذى اختفى سنة ٤١١ هـ ، سيعود إذا زالت المفاسد المنتشرة فى العالم!

obeikandl.com

obeikandl.com

كان أمل الفاطميين منذ أن انتشرت الدعوة الشيعية فى المغرب الاستيلاء على مصر، وقاموا بحملات كثيرة كان مصيرها الفشل، ولم يصيبهم اليأس أبدًا، فقد كانت عيونهم دوما على مصر.

وقد تحقق ذلك على يد جوهر الصقلي، الذى نجح فى الاستيلاء على مصر، وأسس مدينة القاهرة ٣٥٨ هـ، ووضع حجر أساس قصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى الذى عرف بالقصر الشرقي، كما شرع فى بناء الجامع الأزهر فى اليوم الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ، وتم بناؤه فى سنتين، وعندما جاء العز لدين الله لمصر جاء معه أهله وعشيرته وحتى رفات أجداده، ودخل القاهرة فى السابع من رمضان سنة ٣٦٢ هـ، واستقر الحكم الفاطمى فى مصر، وتولى الخلافة من بعده العزيز بالله، ثم الحاكم بأمر الله .

والذى يقرأ تاريخ الحاكم بأمر الله ينتابه العجب من سيرة حياة هذا الرجل الذى كان اسمه المنصور، ثم لقب بالحاكم بأمر الله، وكانت حياته كلها تدعو إلى التعجب.

وكلما أمعن الدارس فيها تزيد علامات الاستفهام التى لا تجيب إجابة واضحة المعالم والقسمات فالمتناقضات سمة من سمات شخصيته.

كما عرف ميله إلى العنف، وسفك الدماء، فقد أمر بقتل من قام بتربيته (برجوان الصقلي)، عندما شعر أنه يريد أن

يتخذ من الوصاية عليه وسيلة لأن يسلبه السلطة رغم أن عمره كان فى ذلك الوقت أحد عشر عامًا !

وعندما تولى السلطة كان شديد الضغوط على الذين لم يعتنقوا المذهب الشيعي، فاضطهدهم، اضطهد أهل السنة كما اضطهد أهل الذمة، ولكن سرعان ما تراجع عن ذلك وأبدى تسامحًا أكبر، بل أنه أنشأ مدرسة لتعليم المذهب السني.

ويذكر للحاكم بأمر الله حبه للعلم والعلماء وخاصة علم الفلك، فقد أقام مرصدًا فى المقطم لرصد الكواكب والنجوم، كما أنشأ دار الحكمة التى ضمت تراث الفكر الإنسانى من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات، بجانب علم الفلك وأقام مسجد الحاكم بأمر الله.

ومع كل هذا الذى قدمه كان له تصرفات غريبة، فقد حرّم سماع الأغاني، ومنع الناس من أكل الملوخية، ومنع النساء من الخروج، كما أمر بإتلاف أشجار الكروم حتى لايتمكن الناس من صناعة الخمور من هذه الأعشاب.

وكان من الممكن أن يتقبل الناس بعض هذه الأمور، ولكن الذى لم يكن فى الإمكان تبله سمعوه عنه بأن البعض أقنعه بأن روح الله حلت فيه، وبالتالى فقد ادعى الألوهية!

وسرعان ما انتشر هذا الخبر الذى إن دل على شىء فإنما يدل على جنون الحاكم بأمر الله، وأنه وصل إلى درجة لا يمكن علاجه منها.

وبسبب هذا الهوس الذى انتابه، أنه جاء بعض الشيعة من بلاد الفرس فى السنوات الأخيرة من حكمه، وكان من بينهم حمزة بن على الزوزنى وحسن بن حيدرة المعروف بالأضرم، ومحمد بن إسماعيل الدرزى الذى كان من القائلين بألوهية الحاكم.

واستشاط المصريون غضبًا من دعوة الدرزى الذى حاول أن يشرح للناس فى الأزهر ذلك، وأن الحاكم حلت فيه روح الله ! !

وقد تصور الناس أن الحاكم سوف يحاكمه ويأمر بقتله لزندقته ولكن حدث العكس تمامًا، فقد قربه إليه، وشعر الناس بذلك فتملكهم الغضب الشديد على هذا الدرزى الذى أفسد الحاكم وجعله يعتقد بألوهيته !

★★★

وأمام هذا الموقف الذى يفسد عقائد الناس، ويسىء للإسلام والمسلمين، وأمام هذا المذهب الجديد الذى اعتنقه الحاكم أصبح مكروها من الناس، كما أن الناس أصبحوا أكثر كراهية لهذا الدرزى الذى أفسد عقيدة الحاكم ويحاول أن يفسد عقائد الناس، بل أنه جهر بهذا الكفر فى الأزهر !

وقرروا أن يتخلصوا من هذا الرجل الذى ينشر الفساد فى الأرض، وعندما علم الرجل بأن الناس يبيتون قتله، فر هاربًا إلى الشام، حيث نزل ببعض قرى بنياس، وأخذ يتحدث عن ألوهية الحاكم بأمر الله .

والعجيب أن بعض الناس أُعجبوا بهذه الفكرة، وآمنوا بها، وهؤلاء الذين آمنوا بهذه الفكرة الذين يعرفون الآن باسم الدرزية.

ويؤكد الدعاة إلى ألوهية الحاكم أنه ظهر أولاً فى صورة إنسان، وتسمى باسم إنسان، وقام بأفعال البشر، ولكنه ما لبث أن تجرد من صفاتهم، وتنزّه عن مساوئهم!

وظل دعاته يبثون فكرة ألوهيته حتى اعتقد البعض أن بيديه الحياة والموت، وأنه صاحب العاجلة «أى الدنيا» وإليه حكم الآجلة «أى الأخرة».

وكان هذا التغالى فى بث هذه الدعوة للحاكم من عوامل مقتله.

★★★

ويورد المستشار محمد العشماوى فى كتابه عن الخلافة الإسلامية بعض سلوكيات هذا الحاكم فيقول:

«وأدت ضغوط المسلمين على الخلفاء، وكثرة الشكوى والتعريض، واضطراب عقل الحاكم بأمر الله إلى أن ينكب اليهود والنصاري، وأن يشتد على كبار موظفيه منهم ويحملهم على الإسلام، وألزم النصارى لبس الغيار «أى المغايرة لثياب المسلمين»، واشترط أن تكون ثيابهم وعمائمهم شديدة السواد، ومنعهم من الاحتفال بأحد الشعانين وعيد الصليب وعيد الغطاس على ضفاف النيل، وإظهار الاحتفال بأعيادهم ومواسمهم، وأحرق كثيرًا منهم، ومنعهم من شراء العبيد والإماء، وهدم بعض الكنائس وأباح ما فيها للناس لنهبها،

ومنعهم من ركوب الخيل والاقتصار على ركوب البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة، بل من جلود سود ومنع دق أجراس الكنائس فى القاهرة، وحظر على المكاريه «الحمارين» والنونية «المراكبية» نقل أى ذِمِّى .

واشترط أن يضع الرجال من النصارى صلبانًا من الخشب فى أعناقهم، زنة الصليب خمسة أرطال، وأن يضع اليهود فى أعناقهم قطعة خشب مدورة بذات زنة صليب النصارى، ثم ألزم الجميع بعد ذلك –الخروج من أرض مصر، فرحلوا إلى بلاد الدولة الرومانية الشرقية «البيزنطية» وإلى بلاد النوبة والحبشة، ومن بقى منهم دخل فى الإسلام، عندما تغيرت سياسة الحاكم عاد بعض من تم نفيهم من قبل وارتد منهم فى يوم واحد سبعون ألاف شخص».

كان لابد للحاكم وقد وصل أو أوصلوه إلى هذه الدرجة من الجنون أن توضع نهاية لحياته، فليس من المعقول أن يصبر الناس على رجل يهين معتقداتهم بهذا الشكل المثير !

وليس من المعقول أن يرضى الناس بهذا الهوس، وهذا الجنون، ولا حل سوى التخلص من هذا الحاكم المختل العقل.

ولكن كيف تم التخلص منه ؟

يقول البعض أن أخته « ست الملك» خشيت على ملك أبيها من هذا الهوس فدبرت وسيلة لقتله، وقيل إنه اتهمها فى أخلاقها قررت التخلص منه فأوعزت إلى أحدهم بقتله،

وإن كان هناك من المؤرخين من نفى أن تكون « ست الملك» وراء اغتياله، ومنهم يحيى بن سعيد الأنطاكى إذ تحدث عن الحاكم دون أن يذكر شيئًا عن صلة أخته بهذا الحادث، وكذلك ينفى ذلك المقريزي.

والرواية التى تروى أن وراء قتله « ست الملك» تقول إنها اتفقت مع عبدين على قتله عند خروجه إلى جبل المقطم، وقد تربصا به حتى إذا ما أقبل عليهم قتلاه، وحملا جثمانه إلى «ست الملك» التى دفنته فى مجلسها؟

وهناك رواية أخرى يرددها الرواة كما يقول الدكتور على حسن، تقول إن الحاكم خرج هذه الليلة التى قتل فيها راكبًا حمارًا وبصحبته رجلان وأنه اختفى ولم يعثرا له على أثر ، فقام بعض رجال الدولة وقضاتها وأخذوا فى البحث عنه فعثروا على الحمار الذى كان يركبه مقطوع اليدين، ثم تابعوا السير حتى وصلوا إلى بركة شرقى حلوان فوجدوا فيها ثيابه وهى سبع جِبِّات مزررة وفيها أثر السكاكين، ثم ظهر رجل من إحدى بلاد الصعيد، وادعى أنه قتل الحاكم، واعترف بذلك، ولما سئل عن سبب قتله؟ قال: قتلته غيرة لله والدين. فقيل له :

– وكيف قتلته ؟

فأخذ سكينًا وضرب بها قلبه وقال:

– هكذا قتلته !

ولم يلبث أن خرَّ صريعًا وتوفى.

ويعتقد الدروز أن الحاكم الذى اختفى سنة ٤١١ هـ سيعود إذا زالت المفاسد المنتشرة فى العالم، وهو على هذا الاعتبار الإمام المنتظر لهذه الطائفة.

هذه صورة من بعض الصور التى مرت بالتاريخ، صورة توضح ماذا يفعل الطغيان والحكم المطلق فى إفساد المجتمعات وتخلفها، وضرب سور من التخلف والجهل حولها، وهؤلاء بتصرفاتهم لا يضرون ثوب الإسلام الأبيض ولكن يلطخون تاريخهم بالعار .

وقد عادت مصر إلى المذهب السنى على يد صلاح الدين الأيوبى، وسقطت الدولة الفاطمية وعادت مصر كسالف عهدها تحت راية الخلافة العباسية بعد أن ظلت تحت هيمنة الفاطميين قرنين وثمانى سنوات.

obeikandl.com